من الاستشراق إلى الاستغراب: قراءة في فكر حسن حنفي

أ. عبد الوهـــاب شعلان
قـــسم اللغـــة العربية وآدابهـــا
المركز الجامعي سوق اهراس.

يعد حسن حنفي من أبرز الوجوه الفاعلة في الفكر العربي المعاصـــر، وتكمـــن أهميته في كونه رسم لنفسه خطا فكريا أصيلا، وأسس مشروعا متكاملا يهـــدف إلى إعادة قراءة التراث بعيون معاصرة، وقد تنزل مشروعه في إطار الـــسؤال النهـــضوي الكبير الذي يختزل جدلية الذات والآخر. إن أهم المشاريع الفكرية المعاصرة لم تخـــرج عن هذا الإطار الحضاري، من مشروع الجابري في " نقد العقل العربي "، أو مشروع أركون في " نقد العقل الإسلامي "، أو طه عبد الرحمن في " نقد العقل الفقهي "، أو المشاريع ذات النزعة الماركسية (طيب تيزيني، حسين مروّة، محمود أمين العـــالم)، أو تلك التي تراهن على القيم الليبرالية والحداثة (عبد الله العروي، برهان غليون)، أو التي تشتغل على منطق التفكيك والاختلاف (عبد الله إبراهيم، علي حرب).

يتكون مشروع حسن حنفي من جبهات ثلاث هي:" الموقف مـــن التـــراث القديم"، " والموقف من التراث الغربي "، " والموقف من الواقع " وتتشكل كل جبهـــة من عدة أجزاء وموضوعات كبرى، حيث تضم الجبهة الأولى المقدمات النظرية التالية: من العقيدة إلى الثورة، من النقل إلى العقل، من الفناء إلى البقاء، من النص إلى الواقع، من النقل إلى العقل، العقل والطبيعة، الإنسان والتاريخ. أما الجبهة الثانية فتضم: مصادر الوعي الأوروبي، بداية الوعي الأوروبي، ونهاية الوعي الأوروبي. في حين تقوم الجبهة الثالثة على الأسس التالية: المنهاج، والعهد الجديد، والعهد القديم.

وهذه الجبهات الثلاث تؤطر علميا ومنهجيا الأطراف الأساسية في المعاملة التهضوية، فجبهة " الموقف من التراث " تجيب على سؤال الذات والكينونة، وتطرح جبهة " الموقف من التراث الغربي " إشكالية الآخر ومسألة الحداثة. أما جبهة " الموقف من الواقع " فهي إعادة قراءة للعلاقة التفاعلية بين الأنا والواقع.

ويرد حسن حنفي الجبهات الثلاث إلى ثنائية واحدة وهي: النقل والإبداع، وتبدو الجبهتان الأوليان مختلفتان في الرؤيا والمصدر الثقافي، ولكنهما -في حقيقة الأمر- ذات هوية واحدة، إنها هوية النقل، « كلاهما تراث، تراث الأنا أو تراث الآخر، قال ابن تيمية أو قال ماركس، قال الغزالي أو قال جان ستوارت مل، كلاهما بهذا المعنى حركتان سلفيتان، تجعلان النقل أساس العقل كما هو الحال في الحركة السلفية المعاصرة أو الاتجاهات العلمانية أو الحديثة »[1]. والجبهات الثلاث تشكل مجتمعة بنية كلية منسجمة، ذلك أن إعادة قراءة التراث بوعي منهجي، واستقلال ذاتي حضاري، وبتسلح بمعطيات الفلسفة والمناهج والعلوم الإنسانية الحديثة، يكشف عن اللحظات المشرقة في هذا التراث، ويظهر القيم الكونية والإنسانية فيه، ومظاهر الإبداع والخلق، مما يساهم في تشكيل الوعي الفردي والجمعي في رؤيته للآخر — الغرب. ومن ثم تصبح المفاهيم التي روج لها الوعي الغربي كمسلمات (كونية الحضارة الغربية، التفوق الحتمي للإنسان الغربي، إنسانية القيم الغربية، ...)، تصبح كلها محل تساؤل ومراجعة فكرية.

وما يهمنا في هذا السياق هو الجبهة الثانية " الموقف من التراث الغربي "، ففي ظلها تأسس مفهوم " الاستغراب " كبديل علمي ومنهجي للاستشراق الكلاسيكي.

I- الاستغراب والخطاب المضاد:

يرى حسن حنفي أن الاستغراب نشأ في ظل المواجهة الحضارية لهيمنة التغريب على كافة مناحي وحقول الثقافة والواقع العربيين الإسلاميين من الممارسة الفكرية إلى الممارسة اللغوية والجمالية، إلى السلوك الاجتماعي إلى الرؤيا للعالم والأشياء...

لقد تشكل التغريب في وعينا الاجتماعي والثقافي كسلطة قاهرة، توجه الخطاب والسلوك معا، ولعل الفكر النهضوي العربي كانت طروحاته المختلفة لا تفارق هذه الإشكالية. ففي ظل هذه الهيمنة نشأ خطاب الأصالة والمعاصرة، أو الهوية أو الحداثة، ... وتبلور في فكر النهضة بتياراتها المختلفة: التيار الإصلاحي (محمد عبده، الأفغاني، رشيد رضا، ...)، والتيار العلمي العلماني (فرح أنطون، شبلي شميّل، طه حسين،...)، وتيار الليبرالية (الطهطاوي).

تبدو هذه التيارات النهضوية متناقضة في منطلقاتها، ومصادرها المعرفية، ورؤيتها للعالم. فقد حرص الإصلاحيون على قراءة الموروث الحضاري، وإبراز قيم التنوير، والتسامح، والعقلانية فيه كما فعل محمد عبده خاصة في مطارحاته مع فرح أنطون الذي وصف الإسلام بأنه ديانة معيقة للتفكير الفلسفي، فما كان على الشيخ –كما يقول عبد الله العروي في " الإيديولوجيا العربية المعاصرة "– إلا أنه يقدم خطابا سجاليا، يعلي فيه من الروح العقلانية للإسلام[2]، ملمّا بتاريخ الاستبداد في الثقافة الغربية، مغطيا في الوقت نفسه على لحظات الإظلام في التاريخ الإسلامي (مطاردة الاعتزاليين قبل المتوكل، وفكر الغزالي من قبل المرابطين، وفكر ابن رشد من قبل الموحدين ...).

وإذ يقدم الفكر الإصلاحي خطابا تمجيديا للتراث، فإن الفكر العلمي العلماني يراهن على « الدعوة إلى العلم والعلوم الطبيعية حتى يمكن تأهيل الناس إلى نظرية التطور وعلوم الحياة (شبلي شميّل خصوصا)، ثم جاء فرح أنطون كي يجعل من الدعوة إلى العلم والعلمانية دعوة غربية خالصة، بها تقدم الغرب بوصفه مرجعية ثابتة، جنة الأنوار والحداثة والتقدم، نأخذ منه دون شرط أو قيد كما قال طه حسين في " مستقبل الثقافة في مصر ".

وقد راهن تيار الليبرالية السياسية على نموذج الحداثة السياسية والاجتماعية في الغرب (البرلمان، الحرية السياسية، التنظيم الاجتماعي، حرية الرأي، الدستور،...). ورأى أن منطلق الحداثة يكمن في تفعيل أسس الممارسة السياسية والاجتماعية في ظل

الحرية والاختلاف، هكذا تحدث الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وغيرهما من مؤيدي الروح الليبرالية والتحررية. لقد وقع الفكر الليبرالي العربي في مأزق المفارقة بين الدعوة النظرية للحرية في الإسلام، والممارسة التاريخية للاستبداد من جهة، والواقع التحرري والإنساني الواضح في الثقافة الغربية الحديثة، « لقد كان وعينا أعرجا، له ساق طويلة في الاستئثار بالرأي وساق قصيرة في التعددية وحق الاختلاف، لذلك نتجه في سيرنا باستمرار نحو أحادية الرأي، كما أن رؤيتنا للعالم عوراء، نرى بعين واحدة أحادية الرأي، ولا نرى بالعين الأخرى التعددية وحق الاختلاف »[4]. إنها المفارقة الأساسية بين النظرية والممارسة بين الخطاب التمجيدي للتراث، والحفر العلمي لممارستنا السياسية في وعينا الجمعي.

ويذهب حنفي إلى أن التيارات الثلاثة –وإن بدت مختلفة– فهي تتفق في رؤيتها للغرب على أنه مصدر التحديث ونموذج التقدم، « ترى صورها في مرآة الآخر مما ولّد الحركة السلفية حتى أصبحت وريثة الإصلاح، وقضينا على الليبرالية بأيدينا باسم الثورات العربية الأخيرة، وانتهى العقل والعلم من حياتنا بذيوع مسوح الإيمان والخرافة»[5]. وسيادة الفكر الأسطوري، والنزعة التبريرية، ومن ثم يمكن الحديث عن إجهاض واضح للمشروع التنويري الذي يبدأ مع مطلع القرن التاسع عشر.

إن جبهة " الموقف من التراث القديم " يمكن أن تقدم أسسا مركزية، ومنطلقات ساسية لمواجهة التغريب بشكل معرفي لا بشكل خطابي سجالي. كما أن الفكر الإسلامي باستطاعته أن يساهم في تفعيل هذا المنحى من خلال إعادة إنتاج وقراءة بعض المنطلقات مثل:

- دعوة القرآن إلى عدم موالاة الآخر الذي يقع في خط المواجهة.

ب– رفض التبعية والتقليد للآخر.

جـ– مثال الفكر الإسلامي الذي استوعبه الآخر، وبقي محافظا على هويته الحضارية (تفاعل الثقافة الإسلامية مع الفلسفة اليونانية).

د- نموذج الفكر الإسلامي الحديث الناقد للغرب والمحاور له (الأفغاني في حواره مع أرنست رينان، محمد عبده في نقده لتعامل المسيحية مع العلم والعلماء، نقد محمد إقبال الأسس الهيمنة الأوروبية، ...)[6].

وانطلاقا من سلطة التغريب، وهيمنة الاستشراق الكلاسيكي، طرح حسن حنفي مفهومه العلمي المنهجي للاستغراب بوصفه بديلا، واستفاض في بيان أسسه العلمية، ووظائفه المعرفية والعملية، والنتائج الفكرية والسوسيولوجية والحضارية المترتبة عليه.

أ- مفهوم الاستغراب:

الاستغراب في فكر حسن حنفي هو الوجه المضاد للاستشراق الكلاسيكي، فإذا الاستشراق يمثل رؤية الآخر للأنا، فإن الاستغراب يهدف إلى « فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا، ومركب العظمة عند الآخر »[7]. إن الاستغراب هو محاولة منهجية لمواجهة الخطاب الاستشراقي ذي الطابع الكولونيالي المتعالي، وذلك بتحويل الأنا من موضوع سلبي للدراسة إلى ذات دارسة فاعلة، وتحويل الآخر الأوروبي من ذات تمارس الهيمنة المعرفية إلى مجرد موضوع. إن مهمة الاستغراب هي:« القضاء على مركب النقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلما، مذاهب ونظريات وآراء، مما يخلق فيهم إحساسا بالدونية، وقد ينقلب إلى إحساس وهمي بالعظمة »[8]، وتعد اللحظة التاريخية، والملابسات السوسيوثقافية عاملا حاسما للتفريق بين الاستشراق القديم والاستغراب. فقد ظهر الاستشراق في ظل الهيمنة الأوربية منذ سقوط غرناطة وبدء رحلة الإنسان الغربي للسيطرة، أما الاستغراب فهو وليد ثقافة التراجع والانهزام، كما نشأ الاستشراق متشبعا بإيديولوجيا الأنوار، ومحملا بمناهج البحث العلمي في القرن التاسع عشر (التاريخية، والوضعية خاصة). ويظهر الاستغراب، وقد طفت على الساحة المعرفية مناهج علم اللغة، وإيديولوجيات التحرر الوطني، لقد بدأ الاستشراق الكلاسيكي في التراجع لتحل محله علوم إنسانية ناشئة مثل الأنتروبولوجيا الثقافية، وعلم اجتماع الثقافة، أما الاستغراب فهو لا يزال في مرحلة النشأة، و لم يتبلور بعد بكل أنساقه وأطره المعرفية. وإذا كان الاستشراق قد تشكل في

ظل الوعي الأوروبي المهيمن، وحمل إيديولوجيا استعلائية وكولونيالية فإن الاستغراب –في نظر حسن حنفي– يكون « أقرب إلى الشعور المحايد نظرا لأنه لا يبغي السيطرة أو الهيمنة، بل يبغي فقط التحرر من إسر الآخر، حتى يوضع الأنا والآخر على نفس المستوى من الندية والتكافؤ »[9]. وهو في هذه المرحلة، يبدو حاجة ملحة، خاصة بعد ظهور الكولونيالية الجديدة في أقنعتها المختلفة.

ب– الاستغراب والمركزية الغربية:

ينزع علم الاستغراب إلى مواجهة المركزية الغربية Eurocentrisme التي تشكل في ظلها الخطاب الاستشراقي التقليدي الذي خلق الشرقي انطلاقا من نوازعه، وهواجسه، وأوهامه، وطموحاته[10]. إن الاستغراب يطمح إلى « رد ثقافة الغرب إلى حدودها الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده إبان عنفوانه الإستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام، وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث الكبرى، ...»، يسعى الاستغراب إلى تجاوز ثنائية المركز (الحضارة الغربية) والأطراف (الثقافات الأخرى)، ومن ثم إعادة التوازن للثقافة الإنسانية.

من مهام الاستغراب مراجعة المفاهيم، وإعادة تشكيلها بعيدا عن مركزية الآخر وسلطته التاريخية والثقافية، ومن ضمن هذه المفاهيم مفهوم الكشوفات العلمية، فقد تبلور هذا المفهوم لترسيخ هذه المركزية، ذلك أنه يفرز دلالات تاريخية وحضارية شديدة الخطورة، إنه يبرز العالم وكأنه لا وجود له إلا بعد اكتشافه من قبل الوعي الأوروبي، ومن ثم تغدو المعرفة هي الوجه الآخر للوجود ويترتب على ذلك عدم الاعتراف بالتاريخ الحضاري للثقافات غير الأوروبية (هندية، أفريقية، آسيوية)، ومفهوم الكشوفات العلمية يؤسس للغرب الكولونيالي، أو الغرب المهيمن، الغرب الحقيقة الأولى في العالم الحديث، الغرب المشوه لثقافات الشعوب المستكشفة، باعتبارها ثقافات شفوية، بدائية، تنتهي وظيفتها عند حد الدرس الأنتروبولوجي والإثنوغرافي الغربي، لقد « أظهرت الكشوفات لأوروبا عالما ثريا وخاملا، وكما ازدوج هدف الاكتشاف، فقد ازدوج هدف الاستثمار، فقد رافق المستكشفين باحثون عن الذهب،

وحاملون للإنجيل، الفئة الأولى غايتها نقل الثروة إلى أوروبا، وغاية الفئة الثانية بث الحيوية الروحية في ذلك الخمول الوثني»[12]. ومثلها شكل هذا المفهوم وعيا غربيا متعاليا فإن مفهوم العالمية لم ينفصل عن هذا الوعي، فالحروب الأوروبية هي الحروب العالمية، والتاريخ الأوروبي هو نموذج التحقيب الإنساني، فتاريخ الإنسانية –وفق هذا المفهوم– لا يعدو أن يكون مراحل ثلاث:

عصور قديمة (يونانية، ورومانية)، وعصور الوسطى (مسيحية ويهودية وإسلامية)، وعصور حديثة تبدأ من نهضة أوروبا « الأول يمتد من هوميروس على أقصى تقدير أو من طاليس أبي الفلسفة اليونانية حتى ظهور المسيح، والثاني من ظهور المسيح حتى عصر النهضة مع تخوم في البداية بين اليونانية والمسيحية في العصر الهلينستي، وتخوم في النهاية بين الوسيط والحديث في عصر الأحياء (القرن الرابع عشر)، والإصلاح الديني (القرن الخامس عشر)، والنهضة (القرن السادس عشر)، والثالث من العصور الحديثة ابتداء من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين »[13].

وهكذا يعمم التحقيب الأوربي ليغدو التحقيب الوحيد لتاريخ الإنسانية وتعمم إشكاليات الغرب وهمومه لتصبح إشكاليات الإنسان، والحصيلة هو الوجود الحقيقي والمركزي لهذه الذات، والوجود الهامشي والزائف للآخر غير الأوروبي، وهذا ما يطمح الاستغراب إلى تفكيكه، وفضح آليات اشتغاله وممارسته للهيمنة.

جـ- جذور الاستغراب:

يحاول حسن حنفي أن يؤسس للاستغراب كعلم وبديل منهجي، ولكنه يرى أنه ممتد في التاريخ، إذ يعود إلى لحظة الالتقاء بين الوعي الإسلامي والحضارة اليونانية، عندما كانت الثقافة الإسلامية تمارس فعالية الذات الدارسة، والثقافة اليونانية تختزل إلى موضوع للدراسة، في هذه اللحظة التاريخية تأسس الاستغراب في إطار " المركزية الإسلامية " ومفهوم " دار الإسلام "، وهما مفهومان « سيقومان بتشكيل ملامح خاصة ومتوقعة لصورة الآخر، لتلك الصورة التي ستلوح في أفق انتظارنا طبقا للحدود التي تسمح بها مفاهيم التمركز »[14]. لقد وقع حوار خصب بين الثقافتين، وإن كانت

الثقافة المهيمنة (الإسلامية) قد شكلت أطر الثقافة الأخرى، وأعادت إنتاجها وفق معطيات الذات وخصوصيات التجربة الحضارية. وقد تشكل هذا التفاعل وفق مراحل أساسية بدءا من النقل الحرفي إلى النقل المعنوي مع بداية الكتابة الفلسفية، مرورا بالشرح وإعطاء الأولوية للموضوع، وصولا إلى التلخيص ثم التأليف والنقد.

وقد غدا الآخر موضوعا للدراسة في الثقافة الإسلامية إبان حضورها التاريخي المركزي بدءا من انبثاق الترجمة في حقول المعرفة المختلفة، والشروحات والإضافات على الفكر اليوناني، ولعل أهمها شروحات ابن رشد لأرسطو، وتبلور النزعة المشّائية في الفلسفة الإسلامية ومثلما قرأ الفكر الإسلامي الغرب اليوناني، حاور أيضا الشرق بحضاراته وثقافاته كما فعل البيروني في دراسته لديانات الهند، وابن مسكويه لحكمة فارس.

وفي خضم الحروب الصليبية، واحتدام الصراع الحضاري تغذى الاستشراق والاستغراب من ترسبات المخيال الجماعي للثقافتين، وتشكلت صورة للآخر في سياق الخوف والرغبة مما أفرز وعيا مشحونا بالقبليات. وبحلول لحظة الاحتكاك في الإطار الكولونيالي، وبروز الحداثة الغربية كنسق ثقافي مهيمن، أخذ الوعي العربي-الإسلامي يشكل صورة جديدة للآخر، يختلط فيها غرب الأنوار والعقلانية مع غرب القمع والتسلط وكان غرب القمع أكثر حضورا من غرب الأنوار « لأن هذا الأخير يقدم لك الآمال والأحلام، بينما يقدم لك الأول الفعل »[15]. وهكذا ظهرت نصوص الصدمة بدء من " عجائب الآثار " للجبرتي، وما كتبه علماء الأزهر كالشيخ حسن العطار، و " علم الدين " لعلي مبارك، و " تخليص الأبريز " للطهطاوي، و " حديث عيسى ابن هشام " للمويلحي، ... ومنه تجذر السؤال النهضوي العربي، وتأسست الثنائيات المتضادة في وعينا: إسلام/غرب، أصالة/معاصرة، شرق/غرب، دين/ علم مدني، تقدم/تخلف، عقل/نقل، خلافة/حكم مدني. وهي ثنائيات تعكس المأزق الحضاري للفكر العربي، « فهو من ناحية يتغذى من النزعة التعظيمية للذات التي شيّدت الحضارة في زمن ما، ولكنه بإزاء التمدن الغربي الجارف تتقوى لديه الروح

الاحتقارية للأنا »[16]. وقد شاع هذا الوعي الممزق لدى كافة تيارات النهضة من إصلاحية، وعلمانية علمية، وليبرالية سياسية، الغرب هو منبع التحديث، ومصدر المعرفة والحقيقة، والخلاف بين هذه التوجهات إنما في الدرجة لا في الجوهر.

د- ثمار الاستغراب:

يرى حنفي أن قيام الاستغراب وفق الأطر المنهجية، وبعيدا عن السجالية والمقارعة الخطابية يمكن أن يقدم الثمار التالية:

1- احتواء الوعي الأوروبي والسيطرة على آليات تسلطه وتعاليه.

2- وعي التجربة الأوروبية كتجربة تاريخية في مسار بشري طويل، وليس كتاريخ للإنسانية.

3- إنهاء صورة الثقافة الكونية Universelle، ومن ثم تفكيك ثنائية المركز والأطراف.

4- تحرير الشعوب غير الأوروبية من بنية الوعي الدوني تجاه الآخر الغازي، وفتحها على آفاق الإبداع الحضاري الفعال.

5- إعادة تحقيب التاريخ بتجاوز المركزية الأوروبية، وتقديم التاريخ البشري كحلقات وتراكمات ساهمت فيها ثقافات مختلفة وشعوب متعددة.

6- تحول الاستغراب إلى علم وإطار منهجي بكافة حمولاته الاصطلاحية والإجرائية والمنهجية ليكون بديلا للفكر الاستشراقي الكولونيالي.

II- الاستغراب وإشكالية تلقي المناهج النقدية المعاصرة:

يوفر لنا علم الاستغراب مناخا ثقافيا، ومنظومة علمية منهجية لتفعيل المثاقفة Acculturation والحوار الخصب مع الآخر، في مجال النقد الأدبي المعاصر ومناهجه.

لقد غزا الساحة النقدية العربية سيل جارف من المناهج، وقفت الذات المتلقية إزاءه موقف الانبهار حينا، والرفض أحيانا، والتلقي المشوب بالحذر أحيانا أخرى، وتعكس هذه المواقف -على تباينها- الوعي العربي الممزق والمغترب، الواقع في مفترق

الطرق بين هوية مغتربة عن التاريخ، وحداثة مشوشة أو حداثة معطوبة كما يقول عمار بلحسن.

إن مأزق النقد العربي المعاصر هو أحد وجوه المأزق الحضاري العام وسؤاله هو سؤال الفكر النهضوي منذ الطهطاوي إلى أيامنا هذه.

ماذا نفعل إزاء هذا السيل من المناهج من البنيوية إلى السيميولوجيا، والتفكيك، ونظرية القراءة، والتأويل والهرمنيوطيقا، والنقد الثقافي، وتحليل الخطاب وغيرها من المناهج ؟ هل نأخذ بآلياتها وأدواتها الإجرائية ونغض الطرف عن المنظومة الفلسفية والفكرية التي أفرزتها ؟ أم نتعاطى معها بوصفها بنية منسجمة غير قابلة للتجزيء؟ هل في وسعنا أن ننتقي منها ما يوافق تجارب الذات ورؤيتها للعالم، وماهي المسوغات العلمية والحضارية للانتقاء ؟ هل نحتمي بالتراث، وننقب فيه عن معادلات موضوعية لهذه المناهج ؟ فنقول إن الجرجاني أسس للفكر البنوي، والصوفية بذروا أصول السيميولوجيا، وابن قتيبة سبق إلى نظرية القراءة، والجاحظ تحدث عن العلامة، فتسقط بذلك في هوة الفكر التبريري العقيم ؟

هذه أسئلة كبرى لا تنفصل عن السؤال الجوهري الذي طرحه مفكرو عصر النهضة ولخصه شكيب أرسلان في:" لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ " إننا نتساءل –في هذا المقام– عن إمكانية إحداث علاقة جديدة مع الآخر في هذا السياق، وعن قدرة علم الاستغراب على تفعيل هذه العلاقة وإعطائها المسوغات المعرفية والثقافية على حد سواء. ولكن في وسعنا أن ننطلق من مفاهيم وتصورات وآليات هذا الحقل المعرفي للتأسيس لهذه العلاقة، وذلك انطلاقا من الإجراءات التالية:

تجاوز البنية العقلية التبريرية والاسقاطية.

– الكف عن تحويل التراث إلى " قصر إيديولوجي –كما يقول كلود ليفي شتروس نحتمي به حينما نعجز عن تلقي الضربات، والنظر إلى إنجازاته المعرفية على أنها عطاء الذات الفاعلة ضمن شروط التاريخ.

– تجاوز إيديولوجيا الانتقاء بما يوافق المنظومة العقائدية، فحسين مروة يبحث في التراث عن معالم الفكر الماركسي، وعبد الرحمن بدوي ينقب عن الوجودية، وأدونيس عن أصول التمرد على السلطة ... ومن ثم يغدو التراث وعاء نتموقع فيه إيديولوجيا لا معرفيا.

– الوعي بالآخر في إطار الرؤيا التاريخية Historicité التي تؤكد على أن الإبداع هو وليد الشروط التاريخية والملابسات السوسيوثقافية لا نتاج الصفاء العرقي أو التفوق الحضاري الحتمي.

– تفعيل الفكر الإبداعي على مستوى إنتاج المفاهيم والمصطلحات، وإعادة تأهيل المنظومة الاصطلاحية الغربية، وقراءتها بعيون الفكر التاريخي لا بعيون الانبهار الأسطوري.

– الوعي بقيمة المنظومة الفلسفية والعقائدية، وخصوصيات اللحظة التاريخية والسوسيونفسية التي أنتجت هذه المناهج، وأفرزت تصوراتها المنهجية، وبنيتها الاصطلاحية، وذلك من منطلق الرد على آليات الهيمنة للثقافة الغربية التي تحاول أن تختزل تاريخ الإنسانية في تاريخها، وتسعى إلى تكريس كونية Universalité إشكاليتها.

– المنهج إجراء ورؤيا للعالم على حد سواء. فهل في وسعنا الفصل بينهما ؟ إننا نعتقد بإمكانية تطويع الإجراءات للرؤيا الخاصة دون السقوط في متاهات النزعة التلفيقية التي هيمنت على فكرنا منذ عصر النهضة.

الهوامش:

1- حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 2000، ص 12.

2- انظر كتاب محمد عبده " الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ".

3- حسن حنفي. نحو تنوير عربي جديد: محاولة للتأسيس، مجلة عالم الفكر، ع 3، مجلد 29، يناير – مارس 2001، ص 83.

4- حسن حنفي. حق الاختلاف، مجلة الاختلاف، ع 2، سبتمبر 2002، ص 12.

5- حسن حنفي مقدمة في علم الاستغراب، ص 21.

6- المرجع نفسه، ص 22-23.

7- المرجع نفسه، ص 26.

8- المرجع نفسه، ص 24.

9- المرجع نفسه، ص 25.

10- راجع كتاب ادوارد سعيد:

L'Orientalisme: L'Orient crée par l'Occident, Seuil, Paris, 1980.

11- حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب، ص 28.

12- عبد الله إبراهيم. المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط 1، 1997، ص 16.

13- حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب، ص 32.

14- عبد الله إبراهيم. المركزية الإسلامية، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، 2001، ص 11.

15- محمد عابد الجابري. التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 248.

16- عبد الوهاب شعلان. خطاب الحداثة في الفكر العربي المعاصر، مجلة " المستقبل العربي "، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط – فبراير، 2004، ص 47.